مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 19 عدد: خاص فيفري 2024
العنوان: المصطلح القرآني بين تأويلات المستعربين... ص.ص 115- 85.

المصطلح القرآني بين تأويلات المستعربين وفهم أهل التفسير

-دراسة نماذج مختارة-

محمد عبد الحليم[1]
1- جامعة جيلالي ليابس -سيدي بلعباس
obbada.2011@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/08/22 ؛ تاريخ القبول: 2024/01/16

Quranic's term between the interpretations of the Arabists and the Muslim

-Selected samples study-

A. ABDELHALIM Mohamed

Abstract:

Several translators - both Muslim and non-Muslim - have tried to translate the meanings of the Qur'an for honorable purposes for some and skeptical purposes for others.

The translations have varied, so that the one who comes next to study or read a translation of the meanings of the Holy Quran finds himself confused.

The translation process has remained somewhat far from modern translation rules and theories.

It was even thought that Orientalism is the most important means chosen by those who embrace intellectual invasion, including resentful Westerners who are hostile to Islam and Muslims, to attack the Qur'an and its people.

Keywords: Translation - unscientific basis - Qur'an - modern translation - intellectual invasion

الملخص:

تضافرت جهود مترجمين عدة - مسلمين و غير مسلمين- لترجمة معاني القرآن الكريم لأغراض شريفة عند بعضهم وأغراض تشكيكية عند آخرين. فتعددت الترجمات وتنوعت حتى صار المقبل على دراسة أو قراءة ترجمة معاني القران الكريم يجد نفسه في حيرة.

وظلت عملية الترجمة بعيدة إلى حد ما عن قواعد الترجمة الحديثة ونظرياتها .

حتى ظُن أنّ الاستشراق هو أهم وسيلة اختارها أصحاب الغزو الفكري من الغربيين الحاقدين والمعاندين للإسلام والمسلمين للنيل من القرآن وأهله .

الكلمات المفتاحية:

ترجمة - أسس غير علمية- القرآن - الترجمة الحديثة - الغزو الفكري

مقدمة:

في جو الحوار مع الآخر، وصورة الإسلام في المجتمعات الغربية، كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 دور هام في محاولة تعرف الغرب على الإسلام والمسلمين. والتعرف على الحضارة الإسلامية ثم تكوين صورة عن الإسلام. فلقد نفدت تقريباً ترجمات القرآن الكريم من نقاط البيع آنذاك.

ولقد مثلت ترجمات القرآن إلى اللّغات الأجنبية وسيلة هامة وحيوية لأصحاب تلك اللّغات. وهذا ما يدل على وقع تلك الترجمات في المتلقين لها.

إن عملية ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأوروبية قد نشأت في سياق معارض للإسلام، وكانت الترجمة تتم تحت إشراف الكنيسة ورجالها، ثم انتقلت عملية ترجمة القرآن الكريم إلى الأوساط الأكاديمية على أيدي المستشرقين لتأخذ الطابع العلمي ويتغير المنهج وإن لم يتغير الهدف كثيراً، واستمرت عملية الجدل والمعارضة للقرآن

الكريم في ترجمات المستشرقين ومن قبلهم رجال الكنيسة، وظلت عملية الترجمة بعيدة إلى حد ما عن قواعد الترجمة الحديثة ونظرياتها. حتى ظن أنّ الوسائل والأساليب التي جعلت الصراع تشتد ناره هي تلك الوسائل التي اختارها أصحاب الغزو الفكري من الغربيين الحاقدين والمعاندين للإسلام والمسلمين ألا وهي الاستشراق (الزيبق، 1979م، صفحة 19).

مفهوم المصطلح الديني:

العناية باللّغة تحديداً وفهماً وسياقاً تعتبر خطوة أولى في مسيرة الفكر السليم. حتى يقوم البحث أو الحوار والتفاهم على أسس علمية واضحة جليّة، وحتى لا تنقلب الأمور إلى أضدادها ويستغلها صاحب الهوى. يقول البشير الإبراهيمي عن عنوانه كلمات مظلومة: كالعدل، والاستعمار، والإصلاحات، والديمقراطية ... وغيرها " إن ظلم الكلمات بتغيير دلالتها، كظلم الأحياء بتشويه خلقتهم، كلاهما منكر، وكلاهما قبيح، وإن هذا النوع من الظلم، يزيد على القبح بأنه تزوير على الحقيقة، وتغليط للتاريخ" (الإبراهيمي، 1997، صفحة 18)

تعد إشكالية المصطلح ودلالاته كأحد حالة التنازع نظرا لتوزع الآراء والأفكار التي تتنازع الخطاب، مما أدى إلى تنازع المصطلحات وتشتتها، والخلط بين مدلولاتها. ولقد أُستغل هذا الفهم من قبل بعض التنظيمات لتوسع من بؤرة الصراع والخلاف بين أفراد الأمة الواحدة.

ذلك لأن الألفاظ المبهمة غير الواضحة تربك الذهن وتشوش الفكر ولكن الذين يحكّمون منطق علم اللّغة ويستفيدون من أهميته والمساهمة الناجحة التي يقدمها في معالجة إشكاليات الفهم والتصور الخاطئ يدركون أن اللّغة هي المدخل الرئيس لفهم المفردات والنصوص، في تحديد الدلالة. يقول الأديب زكي نجيب محمود: "قد تكون الكلمة واضحة حين تجري في سياقها، لكنك إذا عزلتها وحدها ووضعتها في مخبر التحليل ألفيتها تقاوم وتراوغ، فكأنما اللفظة من هذه الألفاظ كائنٌ حي بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، تنصاع لفهمك إذا جعلتها جزءاً من

عبارة، وكأنها وسيلة تتعاون مع غيرها على أداء معنى" (محمود، 1976، صفحة 192)

الترجمة وسيلة الاستشراق:

إن معرفة وسائل الاستشراق خطوة أولى صحيحة للكشف عن خطرهم، وهذه الوسائل قد تكون متداخلة. لأنهم اتخذوها بعد دراسة ولم تأت مرتجلة. وهذا الأمر أشبه بما ذكره الدكتور: مازن مطبقاني مركز دراسات وبحوث الاستشراق أن الوقوف وتتبع وسائل المستشرقين للتأثير في الفكر الاسلامي وصياغة فكر إسلامي موافق للتيار الغربي يحتاج إلى وقت وجهد أكبر. حيث أنهم قاموا بعملية التحقيق في كل موضوع من مواضيع القرآن والسنة والسيرة النبوية والفقه والكلام وتحدثوا عن الصحابة الكرام والتابعين والأئمة المجتهدين ... وعن فن الجرح والتعديل ورواة الحديث لزعزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام. (الندوي، 1423ه -2002م، صفحة 19)

ماذا قالوا عن الترجمة؟

فظلنا أن نبتدئ بإشارة عابرة ملهمة منبهة بأن الترجمة فن غير يسير، ولا يستطيعه إلا من كان له باعا عظيما في اللّغة، سواء المنقول منها أو المنقول إليها. كما أن مصطلح الترجمة والتفسير قد يصيران من المترادفات اللّغوية فهما قد يتقاربان في معناهما في اللغة العربية و كذا في بعض اللّغات الغير العربية مثل الفرنسية .

ليست هذه الدراسة متخصصة في الترجمة فنا أو علما، إنما هي إشارة عابرة للتذكرة؛ لأن الأمر يتعلق بترجمة معاني القرآن الكريم.لأنها واحدة من القضايا التي طرحت نفسها وبشكل كبير على الساحة الإسلامية (المالك، 1416ه -1995م، صفحة 94).ويبدوا مما لا شك فيه إنه ما من لغة مكتوبة اليوم إلا وقد ترجم إليها القرآن الكريم.

و عليه فهل ثمة إمكان لقيام الترجمة بنقل معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم؟ أو تكون هذه الوسيلة هي التفسير؟ وبأي صورة يكون؟

الترجمة - بأعم تعريف: هي التعبير بلغة ثانية عن المعاني التي تم التعبير عنها بلغة أولى أو وضع (كلمة، أو نص، أو لغة) في لغة أخرى مُبقِينَ على سلامة المعنى (Larousse، 1968). وتضيف مريان لوديرار في مؤلفها (**الترجمة اليوم والنموذج التأويلي**) ما نصه: " إنّ فعل الترجمة يحتوي على فهم نصّ، ثم يحتوي في مرحلة ثانية على إعادة التعبير عن هذا النص في لغة أخرى، تستحق كلّ هذه العمليات دراسة خاصة لأنها معقدة تعقيدا مهما" (لوديرار، 2008، صفحة 13)

لو تصفحنا معاجمنا العربية فإننا نلاحظ أن معنى الترجمة يطلق على معان ترجع إلى البيان والإيضاح.

جاء في لسان العرب:

تَرجَمَ: التُرجُمان والتَرْجَمان: المفسر للسان. وفي حديث هرقل: قال لتُرجُمَانه. الترجمان، بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى. جمع تراجم، والتاء والنون زائدتان (ابن منظور، 1417هـ -1997م، صفحة 66)

اصطلاحا:

يمكن تعريف الترجمة في اصطلاح الناس وعرفهم بـ:

"التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده".

وقد ذكر هذا التعريف الزرقاني وذكر محترزاته بقوله: "فكلمة (التعبير) جنس، وما بعده من القيود فصل.

وقولنا: (عن معنى كلام) يخرج به التعبير عن المعنى القائم بالنفس حين يخرج في صورة اللفظ أول مرة.

وقولنا: (بكلام آخر) يخرج به التعبير عن المعنى بالكلام الأول نفسه، ولو تكرر ألف مرة.

وقولنا: (من لغة أخرى) يخرج به التفسير بلغة الأصل، ويخرج به أيضاً التعبير بمرادف مكان مرادفه، أو بكلام بدل آخر مساو له، على وجه لا تفسير فيه، واللغة واحدة في الجميع.

قولنا: (مع الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده) يخرج به تفسير الكلام بلغة غير لغته؛ فإن التفسير لا يشترط فيه الوفاء بكل معاني الأصل المفسَّر ومقاصده، بل يكفي فيه البيان ولو من وجه" (الزرقاني، 1424ه -2004م، الصفحات 79-80).

ولأن الموضوع يدور حول حقل القرآن، فترجمة القرآن هي التعبير عن معناه بلغة أخرى، (العثيمين، 1423هـ، صفحة 35) حيث يمكن اعتبار اللّغة العربية اللّغة الأولى أو المصدر source " language "واللّغة الهدف"target language" هي اللّغة الثانية.

اشتغال المستشرقين بترجمة القرآن الكريم:

يُعد القرآن الكريم من أكثر الكتب أهمية لدى المستشرقين الذين عكفوا على دراسته ومحاولة فهمه سواءً بلغته العربية أو عن طريق ترجمته إلى العديد من اللّغات العالمية حتى بلغ عدد تلك اللغات حوالي ستًا وثلاثين لغة رسمية في أنحاء العالم.والمتطلع إلى الصلة والعلاقة الحميمة بين **الاستشراق** و**التبشير** و**الاستعمار**، يدرك جليا تنوع دوافع الاستشراق في اتخادهم من الدراسة الإسلامية وبالخصوص "الترجمات القرآنية" محل دراستهم، مع العلم أن الدوافع تلتقي مع الأهداف، باعتبار أن الدافع يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف الغالبة من العمل (الميداني، 1420هـ-2000م، الصفحات 127-128).

استثمر المستشرقون ترجمات القرآن لشن المزيد من الغارات والهجمات على الإسلام.

ورغم مانراه أحيانا من تظاهرهم بالتعاطف البالغ مع قضايا الإسلام، واستشهادهم بالنصوص القرآنية مسندين إياها إلى الله تعالى، فهذا لا يتعدى من أن يكون مظهرا جماليا وحضاريا يرجى من ورائه التقرب إلى المسلمين وكسب مودتهم.

وكان السؤال المهم لماذا عُني الغرب النصراني بالقرآن وترجمته ودراسته؟ هل المنطلق علميّ؟ وهل الهدف سام؟

النية المبيتة للمستشرقين:

نشأت ظروف الالتفات الغربيّ للقرآن في بيئة الكنيسة، الأمر الذي أوصل البطرس النصراني(بطرس المبجل) عام 1143م المتعصّب إلى قناعة بأن لا سبيل إلى مكافحة (هرطقة محمد) على حدّ تعبيره- بعنف السلاح الأعمى, وإنما بقوة الكلمة ودحضها بروح المنطق الحكيم للمحبة المسيحية, ثم قال: "لكن تحقيق هذا المطلب كان يشترط المعرفة المتعمّقة برأي الخصم أوّلا, وهكذا وضع خطة للعمل على ترجمة القرآن إلى اللاّتينية" (فوك، 1417هـ-1996م، الصفحات 61-62).

فعمل المستشرقون من بعده على مختلف جنسياتهم دفاعا لمحاربة الإسلام عن طريق ترجمة معاني القرآن الكريم (رضوان، 1433هـ-1992م، صفحة 31).يقول **ريجيس بلاشير**) أن القرآن يقف حاجزاً أمام المد الفكري والثقافي للغرب ويشاطره الرأي (**جلادستون**) فيردد أن القرآن يَحُول دون إخضاع المسلمين تحت أقدام الغرب (التمساني، 1423هـ- 2002م، صفحة 51). من خلال المقولتين الحاقدتين لخَّص (**وليم غيفورد بلغراف**) عداء الغربيين وحربهم للقرآن في كلمته المشهورة: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العرب أو العربي يتدرج في سبل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه" (أبوخليل، 1419هـ-1998م، صفحة 98).

إنّ حرص المستشرقين وإقبالهم الشديد على ترجمة معاني القرآن الكريم، وخاصة إذا لاحظنا طرقهم في الترجمة وكيفية نقل النص الأصلي إلى لغتهم، سواء باللاتينية أو بالعبرية كما هو الحال بالنسبة للترجمات الإستشراقية اليهودية (العالم، 1991م، صفحة 121).

نتساءل عن تلك الطبيعة التي توجه ذلك الباحث الغربي(المستشرق) الذي يجهد نفسه في دراسة عالم غريب عنه. يقول نجيب العقيقي: "...فلو أن أحدهم أي-المستشرقين-انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة، أو جمع طوابع البريد النادرة، أو

كتابة القصص البوليسية، بدل التحقيق والترجمة والتصنيف، لخرجت به من تلك الجزائر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الرحب في القرن العشرين، ولعادت عليه برخاء من العيش وشهرة بين الناس وسلامة من النقاد" (زقزوق، 1997، صفحة 73).

لذلك: فقد وجد المترجمون الذين قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم من اللغة العربية مباشرة صعوبة ترجمة ونقل نفس ما هو موجود في النص العربي، لأن القرآن الكريم -وكذا كل كلام عربي بليغ- له معان أصلية، ومعان ثانوية.

والمراد بالمعاني الأصلية المعاني التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية.

والمراد بالمعاني الثانوية خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام، و بها كان القرآن معجزًا. (القطان، 1421هـ-2000م، صفحة 25)

فَتَفَهُم معنى النص واجب عند أصحاب الاختصاص قبل أن يباشر المترجم بتأدية النقل من لغة إلى أخرى سواء أاتبع المترجم الترجمة الحرفية أو المعنوية، ذلك لكيلا يمل من قراءة المتن مرارا بهدوء وتذوُّق فتنسجم لديه التراكيب ودقَّة ألفاظها .(HAJJAR, 2002, p. 13)

نماذج من أخطاء المستشرقين وتصويبات علماء التفسير لها:

وقد نقل العلوش عن الزرقاني أنه ذكر في مناهل العرفان أن أول من وضع فكرة ترجمة القرآن هو يعقوب بن الصليبي الذي خيل إلى قومه أنه ترجم آيات جمة من القرآن باللّسان السرياني وكان من رجال الدّين في القرن الثاني عشر الميلادي، و تابعه في ذلك أحبار ورهبان كانوا أسبق من غيرهم في هذا الميدان (العلوش، 1429هـ -2008 م، صفحة 8).

مثلا عندما نتصفح ترجمة المستشرق الفرنسي **سافاري**، أول ما يلاحظ فيها أن اسم محمد(صلى الله عليه و سلم) قد ذُكر على الغلاف بوصفه مؤلف القرآن. ربما هذا رأيه أو ما يعتقد ولسنا هنا في باب المجادلة. لكن من الأمانة العلمية التي هي واجبة هو كان عليه أن يغفل اسم النبي على الغلاف، لأن الأصل الذي ترجم عنه ليس فيه شيئ من هذا. ثم له في المقدمة أن يضيف ما يحلوا له من الملاحظات. وهذا ما يراه بعض المستشرقين (عوض، 1423هـ-2003م، صفحة 10).

و في ترجمة قوله تعالى:﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158] ترجمها على النحو التالي:

« Sapha et Merva sont des monuments de Dieu »

مترجمًا" **شعائر** الله" بـ" **آثار** الله"، مع أن المقصودَ هو: أن الطوافَ بالصفا والمروةَ شعيرةٌ دينيةٌ من شعائرِ الحجِّ، لا أن الجَبَلينِ المذكورينِ أثرانِ تذكاريانِ (عوض، 1423هـ-2003م، صفحة 10).

الشائع في الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، وكذا الحديث النبوي الشريف، هو استخدام كلمة"Apostle" للدلالة على النبيّ أو الرسول ρ.

لقد استعمل المستشرق البريطاني **جورج** مصطلحا مرادفا لكلمة "رسول" في ترجمته و هو"apostle" أو "apostles" هكذا بالجمع ما يقارب 430 مرة في ترجمته.

مرة ليترجم كلمة:﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾[آل عمران52]. و مرة ليترجم قوله تعالى:"﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[المؤمنون: 51].

و﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس﴾[الحج:78]

و مرة ليترجم قوله تعالى**:**﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[آل عمران144]

"Mohammed is no more than an **apostle**; the other apostles have already deceased before him."

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة 75].

Christ the son of Mary is no more than an apostle; other **apostles** have Preceded him"-(sale, 1825)

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة 111].

"And when I commanded the apostles of Jesus."

وفيما يلي نورد تعريف الكلمة ثم نعقبه بالملاحظات:

Apostle:

1. One of the 12 disciples chosen by Christ to preach his gospel.

2. Any prominent Christian missionary, esp. one who first converts a nation or people.

3. A church reformer.

4. An ardent early supporter of a cause, reform movement

5. The group of early Christians who travelled to different places telling people about Jesus Christ and the gospel.

ومن مرادفات هذا المصطلح الإنجليزي نجد كلمة:

- **The disciples**(also **the Disciples**) :

The twelve men who followed Jesus Christ during his life.

إذاً يشير هذا المقابل الإنجليزي إلى أن محمداً ρ هو إما أحد حواريي عيسى (عليه السلام) الإثني عشر. أما التعريف الثاني فيعني أنه مبشّر نصراني مرموق ويشير التعريف الثالث إلى أنه مصلح كنسي في حين يشير التعريف الأخير على أنه أحد الأنصار المتحمسين لقضية أو حركة إصلاح(Cambridge, 2008) . وهذا كله لا يتفق مع صفات خاتم الأنبياء والمرسلين وإمامهم. ومعلوم أن عيسى عليه السلام سيكون أحد أتباع محمد ρ عندما ينزل وسيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية فإما الإسلام وإما السيف. (وقد وردت بشارات الرسول ρ في التوراة والإنجيل والإيمان بمحمد ρ نبياً وبالإسلام ديناً يمثل ركناً أساسياً من يهودية اليهودي ونصرانية النصراني، كما أن الإيمان بالأنبياء والكتب السماوية السابقة يعتبر من مقتضيات إيمان المسلم).

ويرى المترجمون أن كلمة "the Prophet" أو "Messenger" تناسب المعنى. حيث ورد معناها في معجم Collins كالآتي:

1. The principal designation of Mohammed as the founder of Islam.

2. A person who speaks by divine inspiration.

3. the Prophet: Mohammed, the man who made Islam known to the world through the Koran.

4. messenger (noun) a person who brings a message (Oxford, 2006).

ولعل استخدام كلمة "apostle" يعزز زعم المستشرقين النصارى بأن الرسول ρ قد استقى الإسلام من النصرانية ولاسيما أنهم ينفون عنه صفة الأميّة لتأكيد ذلك.

ترجم المستشرق **هيننج** في نسخته لمعاني القرآن إلى الألمانية، كلمة (صِبْغَة الله) في القرآن الكريم بـ (تعميد الله) أو(تعميد الإله) والصبغة في القرآن يُقصَد بها: الدِّين (القرطبي ش.، 1384هـ-1964م ، الصفحات 145,144). والدِّين يشتمل على العقائد والشرائع كما قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾[الشورى:13]، ومن هذه الشرائع اِغتسال الكافر عند إسلامه، وقد فسّر بعض المفسِّرين كلمة (صبغة الله) بهذه الشعيرة. وأما (التعميد) the baptism باللاتينية Baptismos فهي شعيرة عند النصارى ذات مدلولات مختلفة عن الاغتسال أو الختان عند المسلمين، وقد أسقط المستشرقون مفهومهم الشرعي النصراني على كلمة (الصبغة) في القرآن، على الرغم من اختلافات كبيرة بين المفهومَين.

وفي بعض الترجمات الروسية لمعاني القرآن الكريم كثيراً ما نجد ألفاظ (العِبادة) المذكورة في القرآن يترجِمها أصحاب الترجمات بجملة (الجُثو على الرُّكَب أمام الرَّب)، وقصر معنى كلمة العبادة على هذا المفهوم فيه تفسير مادي لها لا يأخذ أبعادها الروحية، "و هو في نفس الوقت فيه إسقاط للمفهوم السائد عند نصارى اليوم عن عبادة الله، والمتمثّل في الجُثو أمام الصليب أو تمثال العذراء أو صورة اليسوع عليهما السلام للدعاء، وذلك من الأمور الملاحَظة في كنائس النصارى ولا سيما في محافل عقد النكاح أو احتفالات يوم الميلاد، ومن المعلوم أنّ العبادة عند المسلمين لها صورٌ كثيرةٌ لا تُحصَى، ومنها الدعاء والأذكار وقراءة القرآن التي يمكن فِعلها في أي حال وفي أي مكان" (مظاهري، 2002م، صفحة 25).

ففي الآية الكريمة:﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة:138]

جاء في تفسير ابن كثير:"وقوله:{ صِبْغَةَ اللَّهِ }قال الضحاك، عن ابن عباس: دين الله (الدمشقي، 1420هـ - 1999 م ، صفحة 450). وجاء في تفسير القرطبي ما نصه:

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بالصبغة: صبغةَ الإسلام. وذلك أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصِّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غُسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية. (الفراء، 1955، الصفحات 82 -83)

لكن نجد **سيل** قد ترجمها بغير معناها فقال:

The **baptism** of GOD *have we received*, and who is better than God to baptize?

وفي الحاشية يضيف ما نصه:

'By baptism is to be understood the religion which God instituted in the beginning; because the signs of it appear in the person who professes it, as the signs of water appear in the clothes of him that is baptized.! (sale, 1825)

ومعنى كلامه هذا، أن التعميد هو الديانة الأولى التي أوجدها الله. لأن علاماتها تظهر على الشخص ... كما تظهر علامات الماء على ثوب الذي يعمد.

إن كلمة "baptism" يرد معناها في القاموس الإنجليزي على أنها كلمة مسيحية محضة وليس لها أي علاقة مع المفاهيم الإسلامية. جاء في القاموس:

Baptism :

A Christian ceremony in which a person has water poured on their head, or is covered for a very short time in water, in order to show that they have become a member of the Christian Church. (Cambridge, 2008)

معناه: "حفل مسيحي أين يسكب الماء على رأس الشخص. أو يغطى الشخص كلية بالماء ليظهر و كأنه أصبح واحدا من أتباع الكنيسة المسيحية."

Baptism:

A religious ceremony when somebody is baptized

Baptize:

To put water on somebody and give them a name, to show that they belong to the Christian Church. (University, 1991)

ومعنى هذا الكلام: حفل ديني أين يعمد الشخص. والتعميد هو أن يوضع الماء على الشخص ويعطى اِسما و كأنه أصبح واحدا من أتباع الكنيسة المسيحية.

افتتح الله عزّ وجل بعض سور القرآن بافتتاح لافت للنظر، حيث افتتحت بحروف الهجاء، وهي المسماة "الحروف المقطعة". وحددت السور التي افتتحت بهذه الحروف المقطعة بتسع وعشرين سورة.

اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي تفتتح بها بعض سور القرآن، فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها.

أخرج ابْن الْمُنْذر وَأَبُو الشَّيْخ بن حبَّان فِي التَّفْسِير عَن دَاوُد بن أبي هِنْد قَالَ: كنت أسأَل الشّعبِيّ عَن فواتح السُّور قَالَ: يَا دَاوُد إِن لكل كتاب سرا وَإِن سر هَذَا الْقُرْآن فواتح السُّور فدعها وسَل عَمَّا بدا لَك. (السيوطي، 1911، صفحة 59)

وقيل: هي اسم من أسماء الله تعالى. فقال الشعبي: فواتح السور من أسماء الله تعالى، وكذلك قال سالم بن عبد الله، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، وقال شعبة عن السدي: بلغني أن ابن عباس قال:﴿ **الم** ﴾ اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى.

جاء في تفسير القرطبي:"اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْحُرُوفِ الَّتِي فِي أوائل السور، فَقَالَ عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ: هِيَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ سِرٌّ. فَهِيَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي انْفَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُتَكَلَّمَ فِيهَا، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهَا وَنَقْرَأُ كَمَا جَاءَتْ" (القرطبي، 1384هـ - 1964 م، صفحة 154)

قال الزمخشري: وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أنصاف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقلة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته، وهذه الأجناس المعدودة ثلاثون بالمذكورة منها، وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله (الزمخشري، 1418هـ-1998م، الصفحات 138- 139).

فإذا كان هذا التباين في تعريف هذه الحروف قائما بين علماء المسلمين ومفسريهم، فكيف فسروها أو بالأحرى كيف ترجموها في كتبهم، فكيف إذن رأى المستشرقون عظمتها وإعجازها وكيف ترجموها؟

بالرجوع إلى نسخة المستشرق الانجليزي وبالتّحديد إلى الفصل الثالث من مقدمته، أي بداية من الصفحة 77 من المقدمة التي سبقت ترجمته من المجلد الأول.

نجد أنه أساء ترجمتها فراح يترجمها بما يقابل أصواتها بالحروف اللاتينية؛ إذ ترجمها إلى أحرف هجائية إنجليزية مقابلة، فأصبحت ﴿الـم﴾ ألف لام ميم (إيه-إل-إم ALM) (sale, 1825, p. 5). وكأن الألف =A واللام=L والميم=M

السورة	الحروف المقطعة	ترجمة المستشرق	الصفحة في الترجمة
- البقرة	﴿ الم ﴾	A.L. M.	2
- الأعراف	﴿المص﴾	A.L. M. S	105
- يونس	﴿الر﴾	A.L. R	169
- الرعد	﴿المر﴾	A.L. M. R	181
- مريم	﴿كهيعص﴾	C.H.Y.A.S	227
- طه	﴿طه﴾	T. H	233

- الشعراء	﴿طسم﴾	T.S.M	276
- يس	﴿يس﴾	Y.S	330
- ص	﴿ص﴾	S	339
- غافر	﴿حم﴾	H.M	350
- ق	﴿ق﴾	K	383

يمثل هذا الجدول الكيفية التي ترجم بها المستشرق بعض الحروف المقطعة التي وردت في فواتح بعض سور القرآن، حيث أنّ هذه الترجمة لا تمت بصلة إلى الأصل الذي يجب أن يكتب كما يقرأ، لا كما يهجأ وعليه فالمستشرق اكتفى بالترجمة الصوتية.

زد على ذلك، نجده أحيانا يترجم حرفين مثل: "ص" و" س" بنفس الحرف اللاتيني وهو: S

ويترجم "هـ" و "ح" بنفس الحرف اللاتيني وهو: H

ويترجم " أ " و "ع" بنفس الحرف اللاتيني وهو: A

لا شك أن هذا دليل على عدم تمكن المستشرق من لغة القرآن. حيث استعمل الترجمة الحرفية دون أن يكلف نفسه عناء البحث والعود إلى أصحاب الاختصاص. فهو إمّا لم يبحث لها عن مقابل في اللّغة الأصل. أو أنه أراد أن ينفي حقيقة هذه الحروف والتي قال عنها المفسرون أنّ ورودها جاء في بدايات بعض السور مقصودا، ولم يأت مصادفة وأنّها جاءت للتحدِّي والإعجاز وإثبات مصدر القرآن. وأنها مظهر من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن (الخالدي، 1421هـ-2000م).

في حين نرى في بعض الترجمات الفرنسية والإنجليزية أن أصحابها يبقون على أصوات الحروف فمثلا يقول: Alif Lam Mim أو Haa Mim. وهذا وإن كان فيه ما فيه ولكنه أولى من صنيع هذا المستشرق.

خاتمة:

إن القرآن الكريم، هو المصدر الأوحد للمصطلحات الدينية، أو

بالأحرى القرآنية، فكلما ورد المصطلحُ في القرآن فإن معناه يكون مبيَّنا بالضرورة في الآيات التي ورد فيها وفي فحواها ومقتضاها. فإن في القرآن من الآيات ما يحدد مدلولاته ومعانيه، فالقرآن كما ذكر الله تعالى مبين ومبيّن وتبيان لكل شيء.

لذلك لا يحق إحداث مصطلح في الدّين يجعله من أسسه ويرتب عليه نتائج خطيرة، كما لا يمكن العدول عن مصطلح قرآني لحساب مصطلحات أحدثها الناس، وكذلك لا يحقُّ لأحد أن يفرض على المصطلح القرآني معانيَ من عنده، إن كل ذلك يكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه.

كان ميدان الدراسات القرآنية أبرز الميادين التي عبث فيها المستشرقون، فقد قاموا بدراساتهم، وهم يحملون مقررات سابقة، ونتائج جاهزة، لينالوا من القرآن الكريم. فهم:

- يتابع بعضهم بعضاً، فهم ناقلون مقلدون، أكثر من كونهم باحثين ناقدين. فتقريبا عامة المستشرقين يرددون كبراءهم، أمثال: جولد تسيهر، وكازانوفا، ونولدكه، وبلاشير.
- يشتركون في جميع الترجمات التي كتبوها هو أنهم لم يحاولوا فهم معاني القرآن على الإطلاق ولم يعتمد أحد منهم البحث العلمي للوصول إلى الحقيقة.
- اختلف غرضهم من ترجمة القرآن، فمنهم من كان غرضه من الترجمة الرد على الإسلام والطعن فيه، ومنهم من لم يظهر هذا الغرض عنده.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

1) ابن منظور, م. ب1417) .هـ -1997م .(لسان العرب .éd) .(6, Vol. 12بيروت -لبنان: دار صادر.
2) أبوخليل, ش1419) .هـ-1998م .(الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين .بيروت لبنان: دار الفكر المعاصر.

3) الإبراهيمي, م. ب .(1997) .آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي .(éd. 1, Vol. 3)بيروت ، لبنان: دار الغرب الاسلامي.
4) التمساني, م. ب1423) .هـ- 2002م .(تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها . Dansندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي و تخيط للمستقبل .(p. 51)المدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة.
5) الخالدي, ص. ع1421) .هـ- 2000م .(إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني .(éd. 1)عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.
6) الدمشقي, ا. ك1420) .هـ - 1999 م .(تفسير القرآن العظيم .(éd. 2, Vol. 1)المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
7) الزرقاني, م. ع1424) .ه -2004م .(مناهل العرفان ,éd. 1) .(Vol. 2بيروت -لبنان: دار الفكر.
8) الزمخشري, ج. ا1418) .هـ-1998م .(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ,éd. 1) .(Vol. 1الرياض: مكتبة العبيكان.
9) الزيبق, ع. م1979) .م .(أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي .(éd. 2)القاهرة: دار الاعتصام.
10) السيوطي, ع. ا .(1911) .الدر المنثور في التفسير بالمأثور .(Vol. 1)بيروت: دار الفكر.
11) العالم, ع. ل1991) .م .(المستشرقون والقرآن، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين .(éd. 1)مالطا: مركز دراسات العالم الاسلامي.
12) العثيمين, م. ب1423) .هـ .(أصول في التفسير . المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

13) العلوش, ج. ا1429) .هـ -2008 م .(أحكام ترجمة القرآن الكريم .(1 .éd)بيروت لبنان: دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع.
14) الفراء, أ. ز .(1955) .معاني القرآن .(1 .éd) مصر: دار الكتب المصرية.
15) القرطبي1384) .هـ - 1964 م .(الجامع لأحكام القرآن .(1 .Vol ,2 .éd)القاهرة: دار الكتب المصرية.
16) القرطبي, ش. ا1384) .هـ- 1964م .(الجامع لأحكام القرآن .(2 .Vol ,2 .éd)القاهرة :دار الكتب المصرية.
17) القطان, م1421) .هـ-2000م .(مباحث في علوم القرآن .(1 .Vol ,3 .éd)المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف للنشر.
18) المالك, ف. ب1416) .ه -1995م, جمادى الآخر - نوفمبر .(نظرات في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم . مجلة البيان.40 ,94 ,
19) الميداني, ع. ا1420) .هـ-2000م .(أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، دراسة و تحليل و توجيه .(8 .éd) الامارات العربية المتحدة: دار القلم.
20) الندوي, ع. ح1423) .ه -2002م .(مقالات وبحوث حول الإستشراق والمستشرقين .(1 .éd)بيروت: دار ابن كثير.
21) رضوان, ع. ب1433) .هـ-1992م .(أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره "دراسة ونقد .éd) " .(1 .Vol ,1الرياض -المملكة العربية السعودية: دار طيبة.
22) زقزوق, م. ح .(1997) .الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري .(1 .éd)القاهرة: دار المعارف للنشر.
23) عوض, ا1423) .هـ-2003م .(المستشرقون والقرآن .(1 .éd)القاهرة، الجمهورية المصرية،: مكتبة زهراء الشرق.

24) فوك, ي1417) .هـ-1996م .(تاريخ حركة الاستشراق ترجمة) .(1 éd.)ع. العالم (.Trad ,دمشق - بيروت: دار قتيبة.

25) لوديرار, م .(2008) .الترجمة اليوم والنموذج التأويلي) .ن. حفيز (.Trad ,الجزائر: دار هومة.

26) محمود, ز. ن .(1976) .ثقافتنا في مواجهة العصر . المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

27) مظاهري, م. ع2002) .م .(منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين، في ندوة: ترجمة معاني القرآن الكريم _ تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل، .المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

28) Cambridge, U. (2008). Cambridge Advanced Learner's Dictionary (éd. 3). Great Britain: Cambridge University Press.

29) HAJJAR, J. N. (2002). Traité De Traduction (éd. 7). Liban Beyrouth: Dar el-Machreq.

30) Larousse, M. e. (1968). - English Larouse- . Paris: Augé, Gillon, Hollier-Larouse.

31) Oxford, U. (2006). Oxford Essential Dictionary for learners of English (éd. 4). oxford: Oxford University Press.

32) sale, G. (1825). The Alcoran of Mohammed (éd. 1, Vol. 1,2). LONDON: Legare Street Press.

33) University, O. (1991). Oxford Advanced Learner's Dictionary (éd. 5). England: Oxford University Press.

للإحالة على هذا المقال:

- عبد الحليم محمد (2024)، «**المصطلح القرآني بين تأويلات المستعربين وفهم أهل التفسير -دراسة نماذج مختارة-**». المواقف، المجلد: 19، العدد: خاص، فيفري 2024، ص. ص 115-134.